(٦٠)

"تلاقى الأرواح"

كانت فى المكتبة كعادتها تطالع كتبًا شتى، فوقع بين يديها كتابه عن الحياة ووصاياه لمن يريد أن يحيا، فلفت انتباهها عنوان كتابه الذى يوجهه لمن يريد أن يحيا. فما كان منها إلا أن وجدت نفسها تعيد نطقها لعنوان الكتاب بداخلها وكأنها تريد أن تستمع كل جوارحها لتلك الكلمات ... كلمات: الإرادة – والحياة – و... وكل ما يعقبهما من كلمات؟!

وبدأت تتساءل وتسأل نفسها: "هل حقًا الحياة إرادة قبل كل شيء؟! أم هى إلزام قسرى لا مفر منه ولا رغبة فيه .. مثلها مثل أشياء أخرى كثيرة فى تلك الحياة قد مرت عليها إجبارًا بلا طعم أو مذاق، ومع ذلك لم تستطع الهروب منها فكانت دائمًا توهم نفسها بالاستمتاع بالقيام بها حتى تنتهى منها، فلا تلجأ بعد ذلك سوى لنسيانها جلها وكأنها لم تكن لتبدأ مرحلة جديدة من الإلزام الإجبارى واللا اختيارى فى دورة تدور عليها وعلى من حولها بلا نهاية سوى الموت؟!"

لقد نطقت تلك العبارة الصادمة بلسانها بعدما أسمعت كل كيانها بها ... نطقت بعبارة: "الإرادة فى الحياة"، فمالت نفسها لحياة لم تحيها بعد، واشتاقت لتحريك القوى الكامنة بداخلها لتستمتع بتفعيل إرادتها "الحرة" ...

نعم "الحرة" ... "ولمِ لا؟! لماذا لا تُفعِّل إرادتها الحرة فى حياتها فتكون هى الحياة التى تختارها لنفسها بنفسها؟"

اخترقت كلمات ذلك الكتاب كل حواسها فاجتازت معها حاجز الزمن الماضى والزمن الآتى، وكأنها وُلِدت من جديد بنفسٍ جديدة ... نفسٍ تعى ما تريد، وتفعل ما تشاء بحرية كاملة، نفسٍ حرة طليقة لا تعوقها الحدود أو تعرقل مسيرتها الشدائد. وما أن انتهت من قراءة ذلك الكتاب حتى بدأت فى البحث عن سيرة حياة مؤلفه، فكانت المصادفة العجيبة أن تكون ذكرى وفاة كاتبه فى نفس اليوم الذى قرأت فيه كتابه عن الحياة، ليبدو لها وكأنه هو الذى يهدى الناس جميعًا فى كل يوم تمر فيه ذكرى وفاته سر الحياة الذى توصل إليه ولم يبخل به على أحد، ليفقهه كل حى يريد أن يحيا، فيسعى جاهدًا لاختيار حياته.

لقد شعرت أنه من فرط رغبة ذلك الكاتب المخلصة فى إنقاذ حياة الناس جميعًا وتحرير إرادتهم، ظلت روحه بعد وفاته ترفرف حول كلماته، لتبعث عبيرها النقى الصادق فى كل مكان، وتنفث شذاها فى كل من له روح تلاقت مع روحه، وبالتحام كيان الأحياء مع نبض عبارات الأموات، تتجدد رحلة الحياة الحقيقية، ويظل كل من حيا بكلمة من كلمات "خالدٍ" الحية يترحم عليه وهويحمل معه قبس النور الذى سَيهدِى الجميع لجمال الحياة وقيمتها الخفية.